العربية في اميركا قبل كولمبوس

أن يكون الناس قد دخلوا اميركا وسكنوها قبل كولمبوس وقامت لهم دول فيها ابنع عمرانها حتى فاق عمران الاسبانيين فاتحيها امرٌ لا جدال فيهِ واما ان يكون العرب قد وصلوا الى اميركا وسكنوها قبلا فصد اليها كولمبوس فامر قلما خطر على بال احد . لكن نشر في السنوات الاربع الماضية كتاب كبير في ثلاثة مجلدات الفهُ عالم من علماء جامعة هارفرد اسمهُ ليو وينر Leo Wiener عنوانهُ افريقية واكتشف اميركا اثبت مؤلفهُ وجود كلمات عربية في لغات هنود اميركا

يعرف هذا المؤلف ٢٦ لغة وقد شرع منذ سنوات في تعلم لغات هنود اميركا كما دوَّنها المرسلون اليسوعيون (في عهد كورتز القائد الاسباني الذي فتح المكسيك) ليرى ما فيها من الكلمات والتعابير التي قد يستدل منها على الشعوب الذين اتصلوا باولئك الهنود في غابر الزمن فوجد فيها كثيراً من الكلمات الانكليزية والاسبانية والفرنسوية والبرتغالية واقدم من هذه كلها كلمات عربية . وقال بعد نشر كتابهِ انهُ يُرجع اقدم هذه الكلمات الى سنة ١٢٩٠ اي الى قرنين قبلما وصل كولمبوس الى اميركا وقد يكون اصحاب تلك الكلمات اتصلوا بها قبل ذلك بقرنين آخرين

وتدلُّ المباحث الحديثة في السجلات القديمة على ان سفن التجار كانت تمخر عباب الاوقيانوس الاتلانتيكي كل سنة للاتجار وكانت تخفي اعمالها عن غيرها حتى تبقى مستأثرة بالكسب . ومن ذلك ان البيوت التجارية في ديب وروان من ثغور فرنسا كانت ترسل سفنها الى غانة على الشاطئ الغربي من افريقية قبل زمن كولمبوس بمائة سنة لجلب الذهب والعاج والطيوب والجلود والحجارة الكريمة وما اشبه . والمرجح انها كانت ترسلها الى اميركا الجنوبية ايضاً . وانهُ كان لهذه البيوت نظام تجاري كنظام البيوت التجارية الآن من غير ابهة لكي يبقى عملها سرّاً فلا يكثر المزاحمون لها ولكي لا يطمع بها الملوك والحكام فيقاسموها ثروتها ولذلك كانت سفنها تخرج من مرافئها خلسة وتعود اليها خلسةً

وقد ثبت الآن ان مدينة ديب بقيت مركزاً لهذا النوع التجارة بضعة قرون قبل ولادة كولمبوس . وكان كل ربان سفينة يصف لمستخدميهِ حين رجوعهِ ما شاهدهُ في اسفارهِ . ودامت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٦٩٤ حين نشبت الحرب بين فرنسا وانكلترا

فاطلق الانكليز مدافعهم على ديب وخربوها وخربوا بيوت اولئك التجار واتلفوا كل ما فيها

ولكن كان التجار في ذلك العصر مشاكل ودعاوي كما لهم الآن وكانوا يرفعون دعاويهم الى مجالس القضاء فتسجل في سجلات المحاكم بالتفصيل وقد وجدت هذه السجلات ووجد الباحثون فيها حوادث كثيرة بتوار يخها المختلفة . من ذلك انهُ كان في مدينة ديب بيت تجاري اسمهُ بيت اغنوت بقي روشيلد عصريهِ من سنة ١٤٧٠ الى سنة ١٥٥١ . وكان قد صار في مقام رفيع من الثروة واتساع التجارة سنة ١٤٧٠ دلالة على انهُ نشأ منذ سنين كثيرة قبل ذلك. وتدل الدلائل ايضاً على انهُ كان لمدينة ديب تجارة واسعة مع ساحل غانة في غرب افريقية قبلما ادعى البرتغاليون اكتشافها سنة ١٤١٩ وان رجلاً فرنسويًا اسمهُ جان كوزن وصل بسفنهِ الى برازيل سنة ١٤٨٩ ثم عاد وسار محاذيًا لساحل افريقية الجنوبي الى ان وصل الى رأس الرجاء الصالح ثم عاد ادراجهُ الى ديب وكان معهُ لما خرج من ديب وسار غربًا رجل اسباني اسمهُ بنزون وهو شجاع حاد الطبع فاختلف مع بعض السكان واطلق عليهم النار فانَّبهُ رئيسهُ وقاصَّهُ ولما عادت السفن الى ديب شكاهُ الى الحكومة فاخذت الجواز منهُ ومنعتهُ من السفر بحراً فعاد الى اسبانيا ماشياً فلقيهُ كولمبوس واخذهُ معهُ هو واخوين لهُ وسلمهُ قيادة سفينة من سفنهِ الثلاث واعتمد على خبرتهِ . ويقال في مذكرات كولمبوس ان بنزون هذا كان يحاول السير جنوبًا اي الى جهة برازيل التي عرفها من قبل وكان كولمبوس يشكو من حدة طبعهِ . ولما وصلوا الى البر انفرد بنزون بسفينتهِ وسار بها جنوبًا واستمرَّ سائراً ثلاثة اسابيع ولقيهُ كولمبوس صدفةً عند ساحل كوبا الجنوبي. ويظهر من ذلك ان بنزون هذا كان قد وصل الى اميركا قبل كولمبوس وان كولمبوس كان يعلم ذلك وانهُ اخذهُ معهُ كمرشد لهُ

وقد ذكر كولمبوس لدى رجوعهِ من رحلتهِ الثالثة انهُ وجد زنوجًا في البلاد التي كشفها اي في اميركا وذكر ايضاً ان الهنود (اي سكان اميركا) الذين لقيهم في رحلتهِ الاولى اهدوا اليهِ شيئاً من الجوانين (ومعنى الجوانين في ذلك العصر شذور الذهب الممزوج بالنحاس التي كان يؤتى بها من غانه في الجنوب الغربي من افريقية ومنها اسم الجنيه بالانكليزية) وعليهِ فكولمبوس وجد في اميركا زنوجًا وذهبًا افريقيًّا فلا بد من ان يكون قد سبقهُ اليها اناس معهم الزنوج وشذور الذهب الافريقي الممزوج بالنحاس[1] والظاهر ان

(١) كانوا يمزجون الذهب بقليل من النحاس حتى يصلب وينبع اذا صقل وقد حملت شذور الذهب التي جاء بها كولمبس من اميركا فوجد فيها من النحاس قدر ما يوجد في شذور غانة

كولمبوس اخذ معهُ زنوجاً افريقيين ليكونوا تراجمة بينهُ و بين هنود اميركا لان الزنوج الذين فيها يعرفون لغة اهلها . واولئك الزنوج خلاسيون اي ان اباءهم من البيض وامهاتهم من الزنوج فزنوج افريقية عرفوا اميركا قبل كولمبوس

وفوق ذلك فقد ذهب بعض الباحثين الآن الى ان عمران الازد والمايه عمران عربي محض وان الازد والمايه مستعمرات عربية وُجدت في اميركا بين سنة ١٥٠ اوسنة ١٢٠٠ لميلاد والعمران العربي بلغ اوجهُ في افريقية في القرن التاسع المسيحي وامتد جنوباً الى مندنجو في غرب افريقية ومن هناك وصل الى شواكان على شاطئ خليج المكسيك لان آثار العربية في لغات اميركا تُرَدُّ كلها الى ذلك المكان والى مندنجو وهي الكلمات التي تبقى عادة من لغة الغالب في لغة المغلوب كالكلمات الطبية والسياسية . ولما انقطع اتصال العرب باميركا ذوى عمران الازد والمايه لانهُ كان مبنيًّا عليهم وكان في اساسهِ تجاريًا

هذا وقد لخصنا ما تقدم من مقالة للسنر يرتن كلين في جزء فبراير من مجلة العالم اليوم World Today وابناء العربية في هذا القطر وسائر الاقطار احرى الناس بالبحث عن صحة هذا النبإ . ونحن نستبعد ان يكون العرب دخلوا اميركا ولم ينشروا فيها الاسلام او ان يكون الاسلام انتشر فيها ثم انقرض منها قبل وصول الاسبانيين اليها ولكننا نرجح ان يكون الذين ادخلوا اليها الكلمات العربية اناسًا من البربر او من الافريقيين الذين تعلموا العربية فان ابن بطوطة الرحالة المشهور الذي ضرب في اكثر البلاد الافريقية شرع في رحلتهِ سنة ١٣٢٤ لميلاد (٧٢٥ هـ) فوجد العربية منتشرة فيها . وكان ذلك قبل رحلة كولمبوس الاولى باكثر من ١٥٠ سنة . ولا يمكن القول الفصل في هذه المسألة الا بعد الاطلاع على كتب و بثر والوقوف على ادلتهِ واسانيدهِ

وعسى ان يهتم المطلعون على التاريخ والرحلات العربية بالبحث عمَّا فيها مما يؤيد ذهاب العرب الى اميركا بين القرن التاسع والخامس عشر غير حديث الاخوة المغرورين لان ذلك الحديث لا يروي غليلاً ولا يبعد ان يوجد في مكاتب اسبانيا والمغرب الاقصى وتونس والجزائر والقيروان ما يشير الى اسفار تجار العرب في تلك القرون كما وجدت رحلة ابن بطوطة ومن العار علينا ان يعرف رجل اميركي من تاريخ العرب وآثارهم في اميركا اكثر مما نعرف نحن